

نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين

جورج بيترز

١- نظرة تاريخية

إن التاريخ معلم عظيم، والواقع ومن وجهة نظري أنه أعظم معلم بعد الكتب المقدسة، ويوجد في التاريخ كنوز مدفونة من حكمة ومعرفة العصور الماضية وحكماء لإرشادنا وإنذارنا، وهذا يصدق أيضاً على تاريخ الإرساليات التنصيرية، والطبع أصبح من المؤلف قراءة تاريخ الإرساليات التنصيرية في سبيل اكتشاف الأخطاء التي صدرت من أسلافنا لخلق مواقف نقدية من مهمة التنصر في الماضي، وهناك ثمة أخطاء ملحوظة وهذا أمر طبيعي ولكنني أركع بإعجاب وخجل أمام عظماء هذه العقيدة والأبطال والشهداء الذين ساروا في الطريق قبلي يكدحون لخدمة ربهم وتركوا لنا تراثاً لا نعتذر عنه أو نخجل منه، وهذا ينطبق بصفة خاصة على الرجال والنساء الذين كدحوا بدمائهم ودموعهم وعرقهم وصلواتهم وصبرهم في العالم الإسلامي، والذين وضعوا الأسس الأولى التي نستطيع أن نبني عليها ونأمل بحصاد أوفر.

لقد كان قلبي يخفق عند قراءة مئات الصفحات وبعض سير الحياة الشخصية لإعداد هذه الخلاصة عن الأنشطة التنصيرية بين المسلمين، إنني أقف بإعجاب أمام الإخلاص وبعد النظر والعمق اللاهوتي والنشاط التنصيري والمنهجية القادرة على التكيف والابتكار، أقف بإعجاب أمام هذه الخصائص التي أظهرها هؤلاء المنصرون في دعوتهم، إن القضايا التي واجهتهم لا تزال تواجهنا ويبدو أنها ستستمر على هذا الحال إلى زمن غير محدود، إنهم كانوا يتوقون إلى رؤية الناس يتجهون إلى الرب أفواجاً، وفي ذات الوقت واجهوا وبجهد بالغ ما كانوا يعتقدونه عوائق لمسيرتهم ومع ذلك لم يشاركوا في مرحلة الحصاد فهل من الممكن لنا أن نعيش حتى تلك الأوقات التي يصبح فيها ما ورد في يوحنا ٤: ٣٦ - ٣٨ تاريخياً في العالم الإسلامي؟ وحيث إننا نركز على جهود أسلافنا فيجب أن ننطلق دون دراسة تجاربهم وآرائهم بصورة دقيقة.

ماذا كانت إذن موضوعات وأساليب تلك المهمة وتلك الدعوة؟ نقول إن هؤلاء الرجال اختلفوا إلى حد كبير في أساليبهم وطرقهم ليس بسبب اختلاف جمعياتهم التنصيرية فحسب ولكن أيضاً بسبب اختلاف البلاد والشعوب التي عملوا على خدمتها، ومن الواضح أنهم كانوا كنسيين بارعين وقادة تنصير ودعاة ودودين وعلماء أجناس بشرية عمليين، عديد منهم كانت لديه قابلية ومقدرة رائعة في اللغويات وهؤلاء الرجال والنساء - باستثناء القليلين جداً منهم - كانوا يهدفون إلى خدمة الرب والناس الذين يسعون إليهم أكثر من خدمة طوائفهم وبلادهم.

لقد كانت أهدافهم محدودة وثابتة على الرغم من أن وسائلهم وأساليبهم لم تكن كذلك، وطالما بحثوا في هذا المجال عن حلول وعثروا عليها في معظم الأحيان، وفي سبيل إنصاف هؤلاء الرجال والنساء يجب علينا أن نبحث من بلد لآخر ومن جمعية إلى أخرى لكي نقف على جهودهم الخاصة في هذا المضمار، ولا يمكن تحقيق هذا العمل ولذلك يصبح من الضروري إعطاء خلاصة للموضوع.

٢- الهدف المزدوج للإرساليات التنصيرية

إن المسألة التي لم يتم فيها الوصول إلى قرار هي كيفية الوصول إلى المسلمين في البلدان التي توجد فيها كنائس قديمة (معظم بلدان الشرق الأوسط، إضافة إلى مصر وأثيوبيا) وهل يتم ذلك عن طريق هذه الكنائس أم أنه يجب القيام بمبادرة جديدة للوصول إلى هؤلاء المسلمين، وبالطبع هذا لم يؤثر على الوضع في شمال وأواسط الهند والباكستان والمملكة العربية السعودية، ويشير التاريخ إلى أن إرساليتين أمريكيتين تنصيريتين إلى الشرق الأوسط أنفقتا معظم الوقت في محاولة تجديد حياة الكنائس الشرقية التاريخية، ولذلك لم تتمكن من القيام إلا بجهود محدودة لتنصير المسلمين، وعليه لا يمكن أن تكون تلك الإرساليات مقياساً صحيحاً لتقييم فعالية الدعوة بين المسلمين، ولو تمسكت إرساليات التنصير بنفس الهدف وأعلنت الرسالة ذاتها بكل عزم وإصرار فإن النتائج التي كان من الممكن تحقيقها من خلال هذه المنهجية لا يعلمها إلا الرب وحده، ويبدو لي أن المنهجية التنصيرية كانت ممتازة وجديرة بالتأمل والاتباع، ومن المؤكد أن الرب لا يقصد

تخطى العظام الناشفة التى تنتمى إليه، ومن يدرى ماذا يعنى هذا إذا ما نفخ الروح القدس حياة جديدة فى العظام المبعثرة فى الشرق الأوسط وأعاد بصورة أصيلة انبعاث الكنائس، إنه بلا ريب قادر على فعل ذلك ولكنه قد يحتاج تعاوننا فى هذه المسائل، فهل نحن راغبون ومستعدون لمثل هذا التعاون؟ ويظهر أن الرب يقوم ببعث الحياة فى أجزاء من الكنائس القبطية فى مصر، وعلينا ألا نستبعد تلك الاحتمالات والضروريات ولكن كيف يمكن القيام بتلك المهمة؟ فتلك مسألة أخرى إذ لا تتوفر إجابة سهلة الآن.

دخلت جمعية التنصير الكنسية والجمعية الكالفنية الهولندية الأمريكية والجمعية الكنسية الأسكتلندية جميعها للشرق الأوسط بهدف تنصير المسلمين وقد تبعتهما جمعيات أخرى أصغر لتصل إلى المسلمين بإنجيل يسوع المسيح، كما نجد ذلك مدوناً فى العديد من الأوراق لدينا.

٣- أسلوب التنصير

وهو أمر آخر له علاقة بطريقة الوصول إلى المسلمين وتنصيرهم وقد أصبح موضع دراسة جادة ونلاحظ وجود اتجاهات ثلاثة:

١- الأسلوب المباشر فى التنصير:

اتخذ هذا النوع عدة أشكال، ويعتبر هنرى مارتن وكارل كوثليل فاندر رائدى أسلوب المناظرات والدفاع عن العقائد النصرانية، ونهج كثيرون نهجهما، وقد اشترك هؤلاء فى الدعوة العامة وفى المناظرات وفى الحوار والنقاش، ولقد كان دفاعهم عن العقائد النصرانية واضحاً وذاتياً وكانت قلوبهم مفعمة بالدفع والهدوء، والكتاب الذى ألفه كارل بفاندر بعنوان ميزان الحق^(١) أعيد طبعه عدة مرات، وفيما ترك هؤلاء الرواد بصماتهم على التنصير ووجدوا آذاناً صاغية لمواعظهم ونصروا البعض إلا أنهم فى الوقت نفسه نفروا آخرين عن الكنيسة، إن مستوياتهم الأكاديمية الرفيعة وقدراتهم الرائعة لم تبني جسوراً فعالة للإنجيل المسيح.

(1) Karl Pfander, The Balance of Truth.

وبسبب ذلك أصدرت لجنة المطبوعات النصرانية للمسلمين قراراً^(١) فى لاهور فى الهند عام ١٩٣٥م ينص جزء منه على ما يلى:

نظراً إلى أن المطبوعات المتداولة والتي تتضمن الهجوم على النبي المسلم محمد غير مرغوب فيها فقد تم التصويت . . لوقف مثل هذه المطبوعات، كما أقرت اللجنة كمبدأ أساسى للمستقبل بأن يوصى بمنع نشر أى كتاب أو نشرة دينية تقع فى هذا التصنيف^(٢).

وقد اتخذ هذا القرار لأن:

الإيجابية الرائعة التي يتمتع بها الإنجيل والشخصية الباهرة ليسوع المسيح تقدم لنا مواداً كافية للعمل دون الإفراط فى تشجيع نقد سلبى^(٣).

وليس لنا حق الحكم عما إذا كان أسلوب الجدل قولاً أو كتابة أمراً صحيحاً فى ذلك الوقت ولربما كانت كذلك، ومع ذلك من الواضح أن الأحوال قد تبدلت مما يتطلب تغييراً فى الأسلوب، اتخذ الأسلوب المباشر للتنصير صورة مغايرة عند الأسقف كريك وكل من دكتور فريد كورسيل ودكتور صموئيل زويمر اللذين كانا محدثين أكثر منهما مجادلين وكانا بارعين فى إقامة صداقات شخصية فى الحوار المباشر وقدما بكل محبة ودبلوماسية إنجيل المسيح إلى أفراد ومجموعات صغيرة، واعتبر صموئيل زويمر أن ذلك هو الأسلوب الأمثل لكسب مستمعين للإنجيل بين المسلمين، وأقرب طريق إلى قلوبهم^(٤)، يكمن هنا أمر أكبر من تنصير فردى مباشر، إنها صداقة إنجيلية فردية على مستوى رفيع ومعتدلة بعناية ومعدة بمهارة وحذر رافقتها صلوات حارة، وبعد أن أبدى زويمر بعض الملاحظات وبعد تقديم الموضوع فسخ المجال للدكتور كودسل بالإفادة عن القصة الكاملة:

إن الطريق الوحيد إلى الإرادة المنيعه يمر عبر العقل والقلب، ولذا فإن إقناع أى فرد ضد إرادته هو كسب هذه الإرادة عن طريق العقل أو العاطفة لتبنى موقف جديد وعزم جديد.

(1) Christian Literature for Moslems Committee.

(2) Sammuel Zwemer, The Cross Above the Crescent, 1941.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

يشير دكتور فريد كوسيل إلى هذه الطريقة الرائعة بعد سنين طوال في العمل منصراً في استانبول، إنها لغة المحبة تنطق بها شفاء بشرية وتعبر عنها حياتهم وهو اعتماد على تجربة شخصية فيقول:

في سعينا إلى تعريف المسلم بيسوع المسيح علينا أن نعتمد على التأثير الفعال المشع لإنسان يسلك سلوك المسيح في حياته، إن هذا هو الشيء الوحيد الخفى في عقيدتنا النصرانية، إن الاعتماد على هذه الخاصية أبرع الجدل المنطقي وأقدر على الإقناع من المشاريع وأكثر من أى جهد تعليمي ديني رسمي، ولا تسمح الظروف التربوية للمرء لأن يدرج بعض الحالات التي حدثت مؤخراً والتي آمن فيها إنسان بالمسيح ليس نتيجة كلام قيل عنه بل لأنه تجسد من جديد وعاش يومياً في مجتمعهم.

هنالك أساساً ثلاثة أسباب لقلّة المسلمين الذين جاؤوا حتى الآن ليشاركونا تجربتنا مع المسيح:

أولاً: كان المسلمون عبر تاريخهم متدينين ومتشددين ومكافحين بل أكثر المتدينين تعصباً وكما كان لديهم عسكرية.

ثانياً: كانت نماذج طريقة حياة المسيح التي يعرفونها منذ البداية مكروهة لديهم مما أدى إلى توسيع الشقة بدلا من تضييقها ويمكن القول بحق أن الإسلام بدعة نصرانية استندت في مناشدتها للعقول الورعة على معارضتها للشرك في الحياة النصرانية والعبادة.

ثالثاً: إن كنائس العالم النصرانية لم تضطلع جدياً بمهمة تنصير الشعوب الإسلامية، إن تمثلها طريقة حياة المسيح لم تكسبها أنصاراً كثيرين لأنها لم تمارس بين ظهرانيهم وعلى نطاق واسع وخلال فترة طويلة، ولا تزال كلمات المسيح ترن: «وأنا إذا صعدت سوف أضم كل الناس إليّ» وبعد خبرة أربعين عاماً - كانت بعضها تجربة قاسية وحزينة في بذر البذور فوق الصخور ومشاهدة الطيور تلتقطها عن آخرها - فإنني مقتنع بأن أقصر الطرق إلى قلب المسلم هو طريق المحبة الإلهية وطريق الصليب⁽¹⁾.

(1) Ibid.

إن الحديث باستخفاف عن منهجية التنصير الفردي أو احتقارها يعنى الاستخفاف بالمسيح وبالقدسين العظام ويكشف عن معرفة محدودة بتاريخ عمل الرب، إنها وسيلة من وسائل الرب للتنصير بالجملة، والحركات الشعبية وسيلة من وسائله أيضاً على الرغم من أننا نرغب فى الآخرة ونصلى ونعمل من أجلها، ولقد اتخذ العمل التنصيرى فى العقود الماضية شكل مجموعات صغيرة ودراسات إنجيلية موجهة فى البيوت وأماكن العمل، كان ذلك هو المنهج الذى سار عليه الأخوة والذى أدى إلى نتائج باهرة فى مصر قبل حرب عام ١٩٥٦م ولكن بناء السد العالى فى أسوان أدى إلى إنهاء عملهم هناك.

إن الأسلوب المباشر يروق لبعض الأفراد ولا يفقد تأثيره وفعالته أبداً إلا أنه يتطلب قدراً كبيراً من الحصافة والحكمة الإلهية وخاصة فى عصرنا المتسم بالحساسية الشخصية والقومية الدينية، وعلى وجه العموم فقد ظل هذا الأسلوب المعدل هو نفس أسلوب الإرسالية النصرانية المتحدة وإرسالية شمال إفريقيا واتحاد إرساليات الإنجيل وإرساليات عديدة أخرى، واتخذ أسلوب التنصير المباشر شكل الدعوة العلنية متى ما كان ذلك ممكناً فى قاعة خاصة أو فى كنائس، ولكن هذا الأسلوب اجتذب عدداً قليلاً جداً من المسلمين فيما عدا بعض الذين جازوا بصورة سرية وظلوا مجهولين.

٢- الأسلوب الشامل:

انتهج هذا الأسلوب الأبرشانيون والمشيخيون المتحدون واللوثريون (فى أثيوبيا خاصة) وعلى الأخص من قبل الجمعية الكنسية التنصيرية فى إيران واتخذ أبعاداً أربعة:

الدعوة بأشكال مختلفة فى مجال الخدمات الصحية والتعليم (المهنية والأكاديمية) والمؤسسات الخيرية كمؤسسة للأيتام وبناء المنازل للمعتمدين . . الخ . وقد طبقت الإرساليات التنصيرية هذه الطريقة ليس فقط بسبب الحاجات الملحة حولهم ولكن اقتداء بقول الرب: «وكان يسوع يسير فى أنحاء الجليل، يعلم فى المجمع ويعلن بشاره الملكوت، ويشفى الناس من كل مرض وداء» (متى: ٢٤).

ولم يخل الأسلوب الشامل من نتائج شاملة ومؤثرة وإن كانت عامة، فمن ناحية كان ذلك الأسلوب هو الأسلوب الوحيد المتاح للإرساليات التنصيرية للقيام بمهمتها كما يبدو عليه الحال في تركيا، ومن ناحية أخرى أوجد هذا الأسلوب حدًا من الصراحة والتسامح مما أتاح للإرساليات التي تعتمد على الإنجيل أداء أعمالها بجدية أكثر، وكانت تلك الإرساليات تكمل بعضها بعضًا وتتعاون فيما بينها ويتعين علينا أن نكون دقيقين في أحكامنا فيما يتعلق بتلك الأمور.

إنها لحقيقة تاريخية أن مئات المدارس القروية وعديد من الكليات قد فتحت الأبواب إلى عالم جديد لآلاف الناس ومكثتهم من قراءة الإنجيل والأدب النصراني، وهذه الكليات التي كانت ومازالت مراكز لتأثير عظيم في الشرق الأوسط والأدنى هي كلية روبرت في استنبول والجامعة الأمريكية في بيروت والجامعة الأمريكية في القاهرة، وإذا لم تتمكن من إحداث التأثير النصراني الإيجابي الذي خطط له مؤسسوها فإن الخطأ يقع على عاتق الإدارة والموظفين وليس بسبب عدم توفر الفرص أو الإمكانيات أو الوسائل، كما أن إنشاء هذه المعاهد قد فتح بابًا عظيمًا ولكن عدم استمرارية تأثيرها يعود إلى المحتوى والتوجيه وليس بالضرورة إلى المنهجية.

لقد أعطت مدارس البنات والنساء في الشرق الأوسط المرأة هناك إحساسًا بالكرامة الذاتية لم يكن بإمكان أى شيء آخر أن يعطيه، وحول هذا الموضوع كتب أولدهام يقول:

إن المنصر يأتي إلى البلاد الإسلامية كممثل لنظام ديني ومسار حضارى يكن له المسلمون كراهية وبغضًا، ولقد أثار الضغط الأوربي السياسى والاقتصادى فى نفوس المسلمين كل غرائز الدفاع عن النفس وقبل أن يتمكن الكتاب المقدس من كسب مستمعين مسلمين يجب أن يزال هذا الجدار من التحامل، وإذا كنا فعلا راغبين فى الدعوة إلى الإنجيل بفعالية وسط المسلمين فعلىنا أن ندعو إليه فعلا وقولا، ويجب أن نعرض بصورة واضحة روح النصرانية الحقيقية فالمسلمون يعتبرونا أعداء، وعلىنا أن نقنع المسلمين بطريقة أو بأخرى بأن النصرارى أصدقاؤهم وليسوا أعداءهم ولهذا السبب فإن للإرساليات الطبية أهمية خاصة للعمل بين

المسلمين، إنها وسيلة ممتازة من وسائل إظهار المحبة النصرانية، كما أن المدارس والكلليات هي الأخرى وسائل قيمة يمكنها أن تزيل الكراهية والتحامل وتصل إلى قلوب الناس، وتوزيع الأدب النصراني والأدب العام ذي الطبيعة المستتيرة هو نوع آخر من الأساليب المهمة التي يتوجب تطويرها، ليس هنالك إلا قليل من الوسائل التي يمكن أن تكون أكثر إقناعاً للمسلمين بصدق نوايا النصارى من المجهودات الموجهة توجيهاً صحيحاً والهادفة إلى تحسين أوضاعهم المالية ومساعدتهم على حل مشكلاتهم الاقتصادية، إن هذه الأشياء لا يمكن أن تكون بديلاً لنشر تعاليم على شكل خدمات فعلية مجردة من الغرض بحيث تقنع أكثر الناس تحاملاً بأنها تعبير صادق للمحبة^(١).

وتشير سجلات الجمعية الكنسية التنصيرية في إيران إلى فعالية الأسلوب الشامل، إن السبب الكامن وراء ركود هذا الأسلوب الذي كان يشر بالنماء يستحق أن يدرس دراسة جادة، وبلا شك فإن عقودها الأولى كانت مباشرة وكانت تشير إلى أسلوب يمكن أن يقود إلى اختراق فعلى في العالم الإسلامى.

٣- الأسلوب غير المباشر أو أسلوب التسلسل:

هناك عدة عوامل ومواقف وأمزجة نفسية إضافة إلى ظروف معينة تجعل من هذا الأسلوب أمراً يروق لجيلنا ولوقتنا الحاضر، وهذا الأسلوب قد يبرهن على فوائده عبر التاريخ وخاصة في العقود الأخيرة، ويبدو لى أنه يجب علينا انتهاجه بجد وإصرار، ومن عظيم الفائدة أنه قد تمت ترجمة الإنجيل والعهد الجديد وأجزاء من الكتب المقدسة إلى عدة لغات وطبعت بمطابع الإرساليات ووزعت في مختلف البلاد، ولم ينظر المسلمون أو النصارى بلا اكتراث إلى هذا الإنجاز، بل كانت المعارضة فورية، وعلق دكتور روبرت إسبير مشيراً إلى الكنائس الشرقية التي تتحدث اللغة العربية ورد فعلها إزاء الترجمة العربية للإنجيل والذي وزع في بيروت قائلاً: «إن الخطيئة التي لا يستطيع القساوسة أن يغفروها هي قراءة الإنجيل كما صدرت أول معارضة قوية عن طريق بطريك أنطاكية في عام ١٨٢٧م محذراً فيها:

(1) J. H. Oldham, The World and the Gospel 1916.

بعد الحديث عن الوقاحة الشيطانية التي وصل إليها لطوف العرش التعيس والحقير وأبناؤه عندما تجرأوا على التعاون مع عائلة رجل إنجيلي رغم تحذيرات مسبقة يستطرد البطريك قائلًا: ولذلك فنحن نحيط لطوف العرش وأبناءه الشياطين وكافة أفراد أسرته رجالا ونساء علماً بأنه قد تم حرمانهم كنسياً من كل تناول رباني، ونحن الآن وبحكمة الرب القدير والتي هي السلطة المطلقة نؤكد هذه اللعنة عليهم، وعليه فإنهم ملعونون مطرودون ولتحيط بهم اللعنة كما يطوق الثوب صاحبه وتنتشر إلى كل أفرادهم مثل الزيت وتخطمهم إلى أجزاء مثلما تتحطم آنية الخزف وتزيلهم مثل شجرة تين حلت عليها لعنة الرب، فليحكمهم الشيطان ويسيطر عليهم نهاراً وليلاً في صحوهم ومنامهم، وفي أية حالة كانوا عليها، ولا نسمح لأى شخص بزيارتهم أو استخدامهم أو تأدية خدمة لهم أو تحييتهم أو التحدث بأى شكل، بل تجاهلوهم كعضو فاسد أو كشياطين مأواهم النار⁽¹⁾.

لقد شق الإنجيل طريقه حيث إن «كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلى فارغة فى هذه الجملة، نجد الراحة والطمأنينة».

لقد طبعت ملايين وملايين الصفحات من المطبوعات النصرانية فى بيروت والقاهرة والهند وباكستان وإيران وهذا لا يعنى أننا قد فعلنا ما نستطيع وما يجب علينا أن نفعله ولكن أطنائاً من كتب المطبوعات قد وصلت إلى العالم الإسلامى، وكثير منه قد طبع للكنائس النصرانية القائمة ومع ذلك لم يهمل الإسلام تماماً، يتحدث روبرت أسبير وضموثيل زويمر بصورة مقنعة عن فعالية توزيع المطبوعات وقيمتها ويسرهنان بالشواهد التى وثقها المسؤولون فى إرسالية المعمدانين الجنوبيين وإرسالية معابد الرب فى بيروت والإرسالية التنصيرية الدولية فى طهران، ويحسن زويمر إيراد الحجة قائلًا:

الواقع أنه فى كل العصور والبلاد كانت الصفحة المكتوبة فى كل مكان هى المنصر المتواجد دائماً، ولقد سمعنا أن لوثر قذف الشيطان بمحجرة فى وارترج عندما كان يعد نسخته من الإنجيل الألمانى، وللأسطورة دلالاتها النبوية، إن أفضل

(1) Robert E. Speer, Presbyterian Missions, 1901.

شيء نقذفه بوجه شياطين الجهل والإثم هو محبرة مطبعة عصرية أى مطبعة لطباعة الكتب، إن الصفحة المطبوعة هى فعلا منصر متواجد فى كل مكان وزمان . . يمكنه أن يذهب إلى أى مكان وبأقل التكاليف ويمكن مضاعفته ألياً بحيث يمكن لأى موزع للمطبوعات أن يفخر بأنه أجاب على صلاة المنصر ويسلى عندما رفع يديه قائلاً: أمره من أين لى بألف لسان تتغنى بتمجيد مخلصى العزيز، إن الصفحات المطبوعة تدخل الأبواب المغلقة وخاصة فى البلاد الإسلامية، لقد تلقيت أنا شخصياً عندما كنت فى القاهرة طلبات للكتب والنشرات الدينية من مكة وكربلاء، فالكتاب يصل إلى الصفوف حيث يقرؤه من يستطيع القراءة ومن ثم يقرأ على الأميين، إنه وسيلة للوعظ لا تبلى ولا تحتاج إلى إجازة راحة أو إجازة مرضية، إنه فوق هذا ينفذ إلى العقل والقلب والضمير ويأتى بنتائج فى كل مكان. لقد تعرفت على حالات كثيرة مثل هذه ظلت فيها البذور الإنجليزية تحت الأراضى المهجورة والتربة الصلبة محتفظة بحيويتها وقدرتها على النمو والازدهار.

فوق هذا وذاك فإن الأسلوب التنصيرى (عندما يطبق بصورة صحيحة).

يكون أقل عداء من الوعظ المباشر، بمعنى أن المنصر يستطيع أن يدعو بطريقة أكثر فعالية وجرأة وإقناعاً.

أضيف هنا تحذيراً هو أنه من الخطأ إعادة الحياة إلى الكتابات والمطبوعات القديمة لتوزيعها اليوم، إننا بحاجة إلى كتابات «جديدة» لكل جيل ومطبوعات «مختلفة» لكل بلد وشعب، ويجب أن يفيض هذا الأدب بروح الحاضر إذا أردنا له أن يجد أذنًا صاغية، إن أى جيل جديد يتطلب أدباً جديداً.

هناك وسيلتان أخريان لأسلوب التسلسل تهيأت لجيلنا الحاضر وأثبتت العقود الأخيرة أنهما مؤثرتان جداً، هما الإذاعة ودورات المراسلة، إن الإذاعة وسيلة جبارة للخير أو للشر، وقد توصل باحث ألماني بعد عدة سنوات من البحث والاستقصاء فى العالم إلى تقدير مدهش جاء فيه أن العامل المؤثر الأعظم فى القرن العشرين كان الراديو الترانزيستور، لقد فتح هذا الاختراع أبواب العالم على بعضها وأزال كثيراً من العوائق المستعصية ليلتقى العالم كله معاً، ولا شك بأن

التلفزيون قد يحل محل الراديو فى الأهمية، وهذا احتمال مستقبلى ولكن العصر هو عصر الراديو.

والحقيقة أن اجتماع مندوبى ٤٤ دولة لدى منظمة مؤتمر العالم الإسلامى قبل سنوات قلائل حيث أعلنوا رغبتهم فى إغلاق المحطات الإذاعية لإرساليات التنصير فى العالم الإسلامى وعلى تعاون ٢٤ منظمة إسلامية لإنشاء محطة إذاعية قوية فى مكة تعرف باسم «صوت الإسلام» يشير إلى شعورهم بالتأثير الذى تحدثه هذه الإذاعات النصرانية فى العالم الإسلامى، فهنا أداة أساسية استخدمها الرب بصورة واسعة فى العالم الإسلامى حيث دخلت بيوتاً لم تستطع حتى المطبوعات دخولها، ويعزى نجاح هذا البرنامج إلى دورات المراسلة التى تعتبر فى الوقت الحاضر أنجح الطرق فى عملية تنصير المسلمين، ويعكس الإذاعة التى تتطلب استماعاً مركزاً فإن دورات المراسلة تتطلب القراءة والتفكير والاشتراك فى الكتابة، كما أنها تشد العقل ويشارك فيها الفرد على مستوى عميق وليس فيها مجال للجدل والنقد، ولا يمكننى أن أقرر عما إذا كانت الدورات الحالية شيقة، كما يجب أن تكون ذات صلة وثيقة بالموضوع، ولكن الطريقة تبدو مناسبة وفعالة فى هذه المرحلة من التاريخ وفى الظروف الحالية، إن هذا الأسلوب على كل حال هو القوة الصامته وغير المرئية التى لا تدخل فى أى جدال ولا تقبل أى اعتذار وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحديث معجزة التنصير.

٤- مسائل جوهرية:

لقد برزت إلى السطح عدة مسائل جوهرية من خلال تاريخ تنصير المسلمين .
أولاً: كانت المسألة التى شغلت الأذهان ردحاً من الزمان هى مكانة الإسلام فى تاريخ الأديان، فالإسلام على أية حال هو الدين الوحيد الذى جاء بعد النصرانية، لماذا ظهر الإسلام؟ وما الأسباب التى كانت وراء ظهوره؟ ما العوامل المحركة له والمؤثرة فيه؟ كيف نفسر عناده غير العادى وعداءه للجاء للنصرانية؟.

ثانياً: هنالك الأسئلة حول الطبيعة الأساسية للإسلام، هل أن الإسلام أساساً حركة حضارية -اجتماعية- سياسية تناصرها وتثبتها الحماسة الدينية؟ أم أن الإسلام

أساساً ظاهرة دينية أى فكرة ومثالية (وقد أوجدت) ظاهرة حضارية -اجتماعية- سياسية خاصة بها وبنية تلائم «روح» الإسلام وتعبّر عنها بطريقة مناسبة؟ وإذا استعملنا المصطلحات النصرانية، فهل النظام الإسلامى نظام دينى تتحكم فيه الدولة أم دولة واقعة تحت الدين بشكل يوثق عراها ويكسيبها سيادة توظف نفسها أولاً وقبل كل شىء للقيام بواجبها لفرض سلطتها الدينية على الأفراد؟ وإذا كان النظام الإسلامى هو نظام دينى تتحكم فيه الدولة سيكون من الممكن ضرب إسفين بين الثقافة والكيان من جانب والدين من جانب آخر وبهذا يمكن إحداث تغيير فى واحد منهما دون تشويه الجانب الآخر، ولكن إذا كان النظام الإسلامى يقوم على مفهوم دولة يسيطر عليها الدين، فسيكون من الخطر على الإسلام تغيير أى من الاتجاهين.

ثالثاً: هنالك مسألة «المؤمنين المجهولى الهوية»، وقد أثارت هذه المسألة جدلاً جاداً ولها علاقة وثيقة باللاهوت والاستراتيجية المنهجية فى تنصير المسلمين، وقد أثير موضوع المؤمن المجهولى الهوية فى عام ١٩٣٠ فى اجتماعات عقدها مجلس الشرق الأدنى النصرانى^(١)، وكذلك فى مؤتمر مدراس الذى نظمه مؤتمر التنصير العالمى فى عام ١٩٣٨م - ويلخص أحد أساتذة الجامعات الأمريكية فى الشرق الأدنى هذه المسألة على النحو التالى:

إن هذا الأسلوب لا يجبر المسلم الذى يعيش تجربة الدخول فى النصرانية لأن يتخلى عن ارتباطاته الاجتماعية مع المسلمين، بل يرى أن المنتصر الحديث السن الذى يستمر فى تعايشه مع المجتمع الإسلامى سوف يسلك الطريق العيسوى ويهتدى به فى داخل ذلك المجتمع، وثمة أشياء بالطبع لا يستطيع فعلها، وسوف يكون عرضة للمطاردة والانتقاد ولكن هذه المعاملة لا تشتد إلا بعد عزله عن مجتمعه الذى يسعى جاهداً للتعايش معه، وبهذا تبقى الخميرة داخل الكتلة ويبقى المصباح فى مكان مظلم، وبهذه الطريقة سيكون نشر النصرانية عملاً روحياً وليس تنظيمياً، حيويّاً لا لاهوتياً، أخلاقياً لا شكلياً... وهذا الأسلوب ينطوى على مزايا عديدة تجعله مفضلاً على غيره لأنه لا يهدف إلى جعل المنتصرين الأفراد

(1) Near East Christian Council.

منفصلين فى مجموعات صغيرة معزولة عن المجتمع الإسلامى، بل يهدف إلى غرس روح المسيح وتعاليمه فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية، وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التى تعمل داخل الكيان كله لتمكن روح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعى، وبهذه الطريقة أيضاً يمكننا أن نستوعب فى الحظيرة النصرانية مسلماً نصرانياً، ولا هوثياً إسلامياً - نصرانياً محلياً، ونمطاً محلياً من أنماط الإسلام النصرانى المنظمة»⁽¹⁾.

وفى الاجتماع الذى عقد فى دلهى فى الهند فى ٦-٧ كانون الأول عام ١٩٣٨م، والذى حضرته مجموعة تمثل الإرساليات التنصيرية العاملة فى أوساط المسلمين، ناقش المؤتمر وجهة النظر المذكورة أعلاه وأصدروا القرارات التالية:

بعد الاستماع إلى تقرير عن التحقيق الذى أجرى حول تنصير المسلمين والذى قام به مجلس الشرق الأدنى النصرانى ناقش المؤتمر بالتفصيل الاقتراح التالى الذى ورد فى التقرير المذكور - إن الأمل النهائى لجلب المسلمين إلى المسيح والنصرانية يمكن تحقيقه عن طريق تطوير مجموعات نشطة وقادرة على تقديم المسيح للآخرين بينما تحتفظ بولائها للفئة الاجتماعية والسياسية التى تنتمى إليها فى العالم الإسلامى، إن الهدف الأمثل هو قيام كنيسة على رأسها المسيح فقط ولا تحمل أية سمة أو صفة تشير إلى أنها مؤسسة أجنبية تسحب الناس من روابطهم السياسية والاجتماعية الطبيعية⁽²⁾.

وحول هذا الموضوع اتخذ القرار التالى:

إن هذا المؤتمر الذى يضم العاملين فى مجال التنصير بين المسلمين يرغب فى أن يسجل أنه وعلى الرغم من معرفتنا بالاهتمام الواسع بربنا يسوع المسيح الموجود فى العالم الإسلامى اليوم وأن المؤمنين الحقيقيين قد لا يعلنون انضمامهم إلى الزمالة النصرانية نود أن نقرر أن هدفنا وبغيتنا كمنصرين تحتم علينا تعريف الناس جميعاً بضرورة الشهادة العلنية للمسيح من خلال زمالة الكنيسة النصرانية⁽³⁾.

(1) Zwemer, 1941.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

ويضيف الدكتور زويمر رأيه حول هذا الموضوع قائلاً:

إذا لم نطلب من المسلم المنتصر أن يتخذ قراراً حاسماً ويقطع علاقته بماضيه ويقبل حياة جديدة بإيمانه وقبوله بالمسيح، فإننا نظلمه، إن الطريقة السهلة هي ليست طريقة الكتاب المقدس، إن الموقف الودى تجاه المسيح وتجاه النصرانية لا يكفي، إن طريق الصليب يعنى الصلب وليس التطعيم^(١).

يبدو لى أننا متى ما وجدنا تماماً إجابات إنجيلية ولاهوتية على هذه التساؤلات الأساسية المطروحة فإننا نتمكن حينئذٍ من وضع استراتيجيات ملائمة ومن إيجاد مناهج مناسبة لتنصير البلاد الإسلامية، إن القضية هي أعمق من النظم الثقافية والاجتماعية ومناهج الاتصال وإعداد وسائل وأدوات أكثر ملائمة، كل هذه الأمور مهمة جداً، كما يتعين علينا بذل أقصى الجهود لإزالة كل المعوقات الثقافية والبشرية وإعداد أفضل الأدوات، ووضع الرسالة فى إطارها الصحيح، وإصلاح الكنيسة واستخدام براعتنا فى إنتاج البرامج والمواد وتطوير العاملين وهذا يعنى أنه يتعين علينا أن نضيف إلى الأمور التي نراها مهمة جداً، تلك الأمور التي نعتقد أنها الأهم، ولدى انطباع أن الإسلام هو أولاً وقبل كل شيء قوة روحية، وصيغة لاهوتية وبناء «دينى»، وسواجه الإسلام بجرأة كل الخبرات الفنية والضغط التي نستطيع تنظيمها، إنه لن يستسلم لشيء أقل من روح الرب مجسدة فى رسالة المسيح الذى صلب وقام وصعد وتمجد وبرجال يعرفون ربهم ويعملون بصبر الروح القدس وقوته التي لا يمكن مقاومتها.

إننى أميل إلى الاتفاق مع فاندرو زويمر وفريتاك وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية، «مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر» لمقاومة إنجيل ربنا يسوع المسيح، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وترفض بكل وضوح موثوقية وصحة الإنجيل، وأبوة الرب وأن المسيح ابنه، وضرورة موته وكفايته لمفهوم الإخلاص، وتبرير بعثه، إنه الخلاف الأكبر فى النصرانية وفى الكتاب المقدس، أملنا فى الخلاص، ولكن محرك

(1) Ibid.

هذا الخلاف هو الإسلام وليس النصرانية، وفي ذات الوقت فالنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً ويفوق فى ذلك النظام الشيوعى، ولكن هذه الحقيقة يجب ألا تثبط عزم المنصرين أو تعميهم عن رؤية العديد من نقاط الاتصال أو الجسور، فهى حقيقة تضع الإسلام فى وجهته التاريخية والدعائية الفريدة فقط، وعلى كل حال، يجب ألا تخيفنا هذه الحقائق لأن وجودها يشكل أكبر وأعظم مجد للكنيسة، فمن وجهة نظر دكتور بافيك ليس هنالك نظام متماسك لم يترك الرب فيه شروخاً تجدد دعوته طريقاً من خلالها⁽¹⁾، إن الإله الموجود فينا أعظم من الإله الموجود فى العالم، وأعظم حتى من الإله الذى يتحدث عنه الدين الإسلامى.

إن الكتاب المقدس هو قوة الرب والمسيح هو المنتصر، ومن هذا المنطلق يجب علينا ألا نتوقف عن البحث عن طرق أكثر فعالية لإبلاغ هذه الحقائق.

احذروا الخلاف والمواقف العدائية والتعالى فى النقد، إن الصليب ليس هو مخلصنا الوحيد فحسب ولكنه أيضاً سبيلنا إلى النصر، وقد حقق المسيح النصر بالصمت والصبر والتضحية والموت، ومحبه مدت يد المساعدة وتغلبت.

ملاحظة: هنالك دراسة شاملة وعميقة حول الموضوع.

ملاحظة المحرر: هذه الدراسة لم توزع بوقت كافٍ يسمح بإرسال التعقيبات ولذلك لم تطلب خلاصة لها أو رد عليها.



(1) Johannes H. Bavinck, The Impact of Christianity on the Non - Christian World, 1948.

المراجع

Addison, James T.

1942 **The Christian Approach to the Moslem, A Historical Study.**
New - York: Columbia University Press.

Bavinck, Johannes H.

1948 **The Impact of Christianity on the Non - Christian World.**
Grand Rapids Eerdmans.

1966 **The Church Between the Temple and the Mosque** Grand Rapids:
Eerdmans.

Butler, Father R.A.

n.d. "Anonymous Christians", **The Bulletin of Christian Institutes of
Islamic Studies.**

Christensen, Jens

1977 **The Practical Approach to Muslims.** Upper Darhy: North Africa
Mission.

Elder, J.

n.d **Biblical Approach to the Muslim.** Houston: Leadership Instruction
and Training International.

Freytag. Walter

n.d **Reden und Aufsätze.** Chr. Kaiser Verlag.

Holsten, Walter, editor

n.d **Weltmission Heute - Neue Begegnung von kirche und Islam -**

Evange- lischer Missionsverlag.

International Review of Missions.

1976 No. 260.

Latourette, Kenneth Scott

1970 **A History of the Expansion of Cristianity.** Volume VI. Grand Rapids: Zondervan.

Moon, Rev. J.S.

1967 "From Carey to Zwemer" **The Bulletin of Christian Institutes of Isgamic Studies.** I, 1:46 - 51, 57, I, 2:38 - 43, I, 4:37 - 42.

1967 "The Century before Zwemer" **The Bulletin of Christian Insti- tutes of Islamic Studies.** L VI, 1:10 - 15.

Oldham, J. H.

1916 **The world and the Gospel.** London.

Speer, Robert E.

1901 **Presbyterian Missions.** New Jersey: Fleming H. Revell.

Speight, Rev. R. Marston

1968 "The Purpose of Christian - Muslim Dialogue", **The Bulletin of Christian Institutes of Islamic Studies.** I, 3.

Taylor, John B.

n.d. "Principles for Dialogue between Christians and Muslims", **The Bulletin of Christian Institutes of Islamis Studies.**

Vander Werft, Lyle I.

1977 **Christian Mission to Muslims.** South Pasadena: William Carey Library.

Zwemer, Samuel M.

... **The Moslem World**. Hartford, Conn: Hartford Seminary Foundation.

1924 **The Moslem Doctrine of God**. 2nd edition. New - York: American Tract Society.

1941 **The Cross Above the Crescent**. Grand Rapids: Zondervan.

n.d "Christian in Dialogue with Men of other Faiths, Kandy Consultation, February - March 1967" **The Bulletin of Christian Institutes of Islamic Studies**.

